﴿۞قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ [إبراهيم: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ردُّ أهل الحقِّ هو بالقَبولِ أحقّ

لمّا ذَكرتِ الآية السّابقة ارتيابَ الشّاكّين المكَذِّبين، وأشارَت إلى ما يُكِنّونه من حقدٍ وحسدٍ تُجاه الرُّسل الكرام، ناسَب أن يُذْكرَ في هذه الآية ردُّ الرُّسل عليهم، المشتمل على أصْل توحيد الرُّبوبيَّة والألوهيَّة والأسماء والصِّفات، فهو ردٌّ شاملٌ قائمٌ على أصولٍ اعتقاديَّة، وماحٍ لكلِّ ما قد يَتبادر من الأذهان الغَبيَّة، والأقوال الكَيْديَّة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَاطِرِ﴾: أصْل الفَطْرِ: الشّقُّ طولًا، يقال: فَطَرَ فلان كذا فَطْرًا، وأفْطَرَ هو فُطورًا، وانْفَطَرَ انْفِطارًا. قال تعالى: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣﴾ [الملك: 3]، أي: اختِلال ووَهْي فيه، وذلك قد يكون على سبيل الفساد، وقد يكون على سبيل الصّلاح، وقال: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ [المزمل: 18]، وفَطْر الله الخَلْق؛ إيجادُه الشَّيء وإبداعه على هَيئةٍ مُتَرشّحة لفعل من الأفعال، فقوله: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: 30]، إشارةٌ منه تعالى إلى ما فَطَرَ. أي: أبدَع وركزَ في النّاس من معرفته تعالى، وفِطْرَةُ الله: هي ما رَكزَ فيه من قوّته على معرفة الإيمان، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: 87]، وقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: 1]، وقال: ﴿ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء: 56]، ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾

[طه: 72]، أي: أبدَعَنا وأوْجَدَنا[1]، فاتّصاف الله تعالى بالفاطِر، أي الاعتراف بأنَّه الخالق ﷻ دون سِواه.

2) ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: الدّالُ والعيْنُ والحرْفُ المعتلُّ أصْلٌ واحدٌ، وهو أن تُميلَ الشّيءَ إليك بصَوْت وكلام يكون منك. تَقول: دَعَوْتُ، أدْعو دُعاءً[2]، والمعنى المِحوريُّ جَذْبُ الشّيءِ أو محاوَلة ضمِّه إلى حيِّزٍ أو أمْرٍ: كجَذْب اللَّبَن إلى حيِّزه أو حيِّز الحالِب، وجَذْب النّاس إلى الوَليمة والاجتماع[3]، والمُراد بالدَّعوَة في الآية هو دعوةُ النّاس إلى دين التّوحيد والإيمان به، وترْك ما يُناقضُه.

3) ﴿أَجَلٍ﴾: الأجَل هو المُدَّة المَضْروبة للشَّيء، قال تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [غافر: 67]، وقال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص: 28]. ويُقال: دَيْنُهُ مُؤَجَّلٌ، وقد أجَّلْتُهُ: جَعَلْت له أجَلًا، ويُقال للمُدّة المضروبة لحياة الإنسان: أجَل؛ فيُقال: دَنا أجَلُه، عبارةٌ عن دُنوِّ الموت، وأصْله: استيفاء الأجَل أي: مُدّة الحياة، وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: 128]، أي: حدّ الموت، وقيل: حدّ الهَرَم، وهما واحدٌ في التّحقيق[4].

4) ﴿تَصُدُّونَا﴾: الصَّدُّ قد يكون انصرافًا عن الشّيء وامتِناعًا، نحْو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾، [النساء: 61]، وقد يكون صرفًا ومَنْعًا نحْو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النمل: 24]، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: 1][5]، والمراد به في الآية الصَّدُّ عن دين الآباء الباطل، وتَرْك ما هُم عليه من عبادة الأوثان والأباطيل.

5) ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: (سلط)، السَّلاطَةُ: التَّمكُّن من القَهْر، يقال: سَلَّطْتُهُ فَتَسَلَّطَ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ﴾ [النساء: 90]، ومنه سُمّي السُّلْطانُ، والسُّلْطانُ يُقال في السَّلاطَة، نحْو: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: 33]، وقد يُقال لذي السَّلاطَة، وهو الأكثر، وسمّي الحُجّة: سُلطانًا، وذلك لِما يلْحقُ من الهجوم على القلوب، لكن أكثر تَسَلُّطه على أهل العِلم والحكْمة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ

(1) الرّاغب، المفردات: (فطر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دعو).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دعو).
(4) الرّاغب، المفردات: (أجل).
(5) الرّاغب، المفردات: (صدد).

ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ [غافر: 35]، وقال: ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾[1]، والمراد في الآية هو الحُجَّة والبرهانُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اعتماد الفِطْرة والعقل في إقناع المخالِفين منهَجُ الرُّسل مع أقوامِهم

في الآية الكريمة رَدٌّ على الكُفّار الشّاكّين بالله تعالى، وقد ساقَ الرُّسلُ أدلَّة عقليَّةً وفِطريَّة في إثبات أحَقّيَّة الله تعالى بأن يكون المُنفرِد بالعبادة دون سِواه، إذ كيف يكون في توحيد الله شكّ وهو فاطر السّماوات والأرض؟! فخالِق السّموات والأرض وحدَه لا يُعقل أن يكون له شريكٌ في عبادته، يدعوكم إلى الإيمان والعمل الصّالِح الخالي من الشِّرْك، لمَحَبَّته غُفران ذُنوب عِباده مع تأخير العذاب عنكم لتَموتوا بآجالكم المُقدَّرَة لكم، لكن الكُفّار ظَلّوا مُتَّهمينَ الأنبياء بأنَّهم بَشَر، كلُّ أهدافهم إبعادهُم عمّا ألِفوهُ واعتادوه، فحاوَلوا تعجيزَهم بأن طَلَبوا حُجَّة ظاهرةً تدلُّ على صِدْقهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلّة الفصْل:

خيرُ الرَّدِّ ردُّ الأمور إلى أُصولِها

فُصِلت جملة ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ﴾ عمّا قَبلَها لأنَّها استئناف بيانيٌّ قامَتْ على سؤال يَنْساق إليه المَقالُ على طريقة المحاوَرات، كأنَّه قيلَ: فماذا قالتْ لهُم رُسلُهم؟ فأُجيب بأنَّهم قالوا منكِرين عليهم ومُتعجِّبينَ من مَقالَتِهم الحَمقاء: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾[2]، وفيها أنَّ أصْل الدّعوة في كلِّ ملَّةٍ التّوحيدُ، وكان الشّاكُّ فيه شاكًّا في الله[3].

عِلّة تأنيث الفعل:

الرُّسلُ جماعةٌ واحدة وقولُهم كلمةٌ واحدة

جاء فعل ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ﴾ مؤنَّثًا على إرادة جماعة الرُّسل، يقول السُّهيليُّ: "فإن كان الفاعلُ جمْعًا مُكسَّرًا أُدخلَتِ التّاء لتأنيث

(1) الرّاغب، المفردات: (سلط).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/36.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/391.

الجماعة، وحُذفَت لتَذْكير اللّف؛ لأنَّه بمنزلة الواحد في أنَّ إعرابَه كإعرابِه، ومجْراه في كثيرٍ من الكلام مجرى اسم الجنس"[1]، وقد يُراد بالتأنيث الجمْع، أي: جماعات الرُّسل، باعتبارِ كثْرة الأقوام، لا سيَّما مَن لَم نَعْلَمْهم.

بلاغةُ الاختزال:

دعـوةُ الـرُّسـل واحـدة، ومِلَّة الكُفرِ واحدة

جمَع الله تعالى أقوال الرُّسل في قولٍ واحدٍ، وهم كانوا في أجيالٍ مختلفةٍ، وجمَع أقوال المشركين في قولٍ واحدٍ؛ لأنّهم جميعًا على قولٍ واحدٍ، وفي هذا إيجازٌ واختزالٌ لجميع ما نطقَتْ به الرُّسل الكِرام، كما أنَّ فيه اختزالًا لِما قالَتْه الأقوام بالألفاظ المباشِرة والضّمْنيَّة، فإنَّ المؤدّى واحدٌ، إذ لا خِلاف بينهم في الموقف من دَعوةِ الرُّسل، وفيه أنَّ ملَّة الكُفر واحدةٌ.

غرَضُ الاستفهام:

العـقـول الصّحيحة لا تَقبل الدَّعاوى الباطلة

الاستفهام في قوله: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ للتَّقريع والتَّوبيخ والإنكار، أي: أفي وَحدانيَّتِه سبحانه شَكٌّ، وهي في غاية الوضوح والجلاء[2] لا تحتاج إلى دليلٍ وبرهان على وُجوده وعظَمته، فكيف تشُكّون؟ والاستفهام وصْفٌ لِحَيرة أهل الظّلام إذا رَأوا النّور تَحَيَّروا بين باطلٍ أَلِفوه، وحقٍّ جاء إليهم هاديًا فارْتابوا[3]، وقد يكون الاستفهام بِمَعْنى نَفْي ما اعْتَقَدوه.

سرُّ ذِكر الاسم الأعظَم:

التّوحيد هو القضيَّة المركزيَّة الّتي ضلَّت فيها البشريَّة

علّق اسم الجلالة بالشّكِّ في قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾، والاسم العَلَم يدلُّ على الذّات، والمراد إنكار وقوع الشّكِّ في أهَمِّ الصِّفات الإلهيَّة وهي صِفة التَّفرُّدِ بالإلهيَّة، أي صِفة الوحدانيَّة[4]،

(1) السّهيليّ، نتائج الفكر في النّحو، ص: 131.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/117.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/3999.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/198.

وهي القضيَّة الّتي وَقَع فيها التَّنازع العَريض في البشريَّة، الّتي أرادَتْ أن تَخرجَ عن منهج الله تعالى بعدَم توحيده، وترْكِ إفرادِه بالعبادة الحَقَّة، قصْدًا في اتِّباع الشَّهوات، وذَهابًا في التَّمويه، فأصْلُ الباطل الشِّركُ بالله تعالى، وسَبَبه الحقيقيُّ اتِّباع الشَّهوات، والتَّمسُّكُ بشهوات الحياة الدُّنيا.

بلاغةُ جواب الرُّسُل:

مَـــن شـــكَّ في تنزيه الله تعالى وَقَـــع في قُبح الـفَـهـم وسـوء الطَّويَّة

عدل جوابُ الرُّسل عن إجابة أقوامِهم بأن يقولوا: (أأنتم في شكٍّ مُريب من الله)؟ إلى ما جاء عليه النَّظْم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟ وذلك للمبالَغة في تنزيه ساحة الجلال عن شائبة الشَّكِّ، وتسجيلًا عليهم بسخافة العقول، أي: أفي شأنه تعالى من وُجوده ووَحدته ووجوب الإيمان به وحده شكٌّ ما؟! وهو أظْهَر من كلِّ ظاهرٍ، وأجلى من كلِّ جليٍّ، حتّى تكونوا من قبَله سبحانه في شكٍّ عظيم مُريب[1].

نكتةُ تقديم الجارّ والمجرور:

تعيينُ المختلَف فيه هـو مِحور الاهتمام في أيِّ قضيَّة

أُدخلَتْ همزة الإنكار على الجارّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾، دون أن يُقال: (أشكٌّ في الله)؛ لأنَّ الكلام والخِلاف ليس مُتسلّطًا على الشّكِّ، إنَّما هو في المَشكوك فيه، وأنّه لا يحتَمِل الشّكَّ لظُهور الأدلّة وشهادَتها عليه[2]، فقدَّم متعلّق الشّكِّ للاهتمام به، وكون لفظ ﴿شَكٌّ﴾ نَكِرةً يقتضي نفْيَ أيِّ شكٍّ في الله ولو صغُر؛ لبيان الأدلّة الدّالّة عليه.

فائدةُ إيثار اسم ﴿فَاطِرِ﴾:

مخالَفةُ الفِطرة منكَرٌ بشريٌّ لا يردُّه إلّا فاطرُها

الفَطْر بمعنى الخَلْق والإبداع من غير سَبْقِ مِثال، وأصله: الشَّقُّ وفصْل شيءٍ عن شيء، ومنه فطرَ ناب البَعير أي: طَلَع وظَهَر، واستُعمل في الإيجاد والإبداع والخلْق لاقتضائه التّركيب الّذي سبيله

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/185.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/542.

الشّقّ والتّأليفُ، أو لِما فيه من الإخراج من العدَم إلى الوجود[1]، واستعماله أنسَب في هذه الآية؛ لأنَّ فيه إشارةً إلى الفِطْرة وهي قوَّة الإيمان المَرْكوزة في النّفْس البشريَّة[2]، وهم قد خالَفوا الفطْرة، وقد يُقال: إيثار ﴿فَاطِرِ﴾؛ لأنَّه المُخترِع المُبْتدي، وسَوق هذه الصِّفة احْتِجاجٌ على الشّاكّين يُبيّن التّوبيخ، أي: أيُشكُّ فيمَن هذه صِفَته؟ فساقَ الصِّفة الّتي هي منصوبةٌ لرَفْع الشّكِّ[3].

تَوجيه المخصوصِ بالذِّكر:

عـظَـمـةُ خـلْـقِ الـسَّـمـاوات والأرض لا تُنكَر

خصَّت الآية السّماوات والأرضَ بالذِّكر دون بقيَّة المخلوقات؛ لأنَّهما آيَتان عظيمتان، فالإشارة إليهما كافيةٌ، وتردُّ الشّارِد إلى الرّشدِ سريعًا، كما أنَّ وجود السّماوات والأرضِ دالٌّ على أنَّ لهما خالقًا حكيمًا؛ لاستحالة صُدور تلك المخلوقات العجيبة المُنظَّمة عن غير فاعلٍ مختار، وذلك معلومٌ بأدنى تأمُّلٍ، وذلك تأييدٌ لإنكار وقوع الشّكِّ في انفراده بالإلهيَّة؛ لأنَّ انفرادَه بالخلْق يَقتضي انفراده باستحقاقه عِبادة مخلوقاته[4]، إضافةً إلى أنَّ أحدًا لَم يدّعِ خَلقَ السَّماوات والأرض، فكان في ذِكرهما تفرُّد الخالِق وعجْز البشَر؛ ورَدّ أيديهم في أفواههم سُكوتًا وعجْزًا.

نكتةُ الجمْع والإفراد:

جمْعُ السّماوات لشَرفِها وأُفردَت الأرض لخفّة لفْظها

جُمعت السَّماوات وأُفْرد ذِكرُ الأرض للإشارة إلى تفاوتِهما في الشَّرف، فجُمع الأشْرَف اعتناءً بسائر أفراده، وأشرفيَّة السّماء؛ لأنّها محلُّ الملائكة المُقيمين على تَفاوتِ مراتبهم[5]، ولِما تميَّزَت به من كونها موضعًا للعبادة، والتّقديس، والتّمجيد، وأنواع العبادات

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/528.
(2) الرّاغب، المفردات: (فطر).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/327.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/198.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/80.

كلِّها، ولكونها مَحطًّا للرّحمة ونُفوذ الأوامر والأقضيَة، والتّدبيرات، ثمَّ عقَّبَها بذِكر الأرض مشيرًا إلى عِظَم منافعها وكونها مُتصرَّفًا للخَلْق، وبِساطًا مُمهّدًا للتّصرُّفات، واستصلاح الأقوات من الزّروع والثّمار، والفواكه وأنواع المعادن[1]، كما أنَّ القرآن آثَرَ إفرادَ الأرض لخِفَّته؛ لأنَّ الجمْع ثقيلٌ، وليس ذلك الثّقل في لفظة السّماوات فجاء جمْعًا، عِلمًا بأنَّ لفظة الأرض ورَدَت في القرآن (361) مرَّةً، وكلّها على الإفراد[2].

بديعُ فنِّ الطِّباق:

عَظيم القُدرة في كمال المتقابِلات وتمام المختلِفات

تتأتَّى قيمةُ الطِّباق في بيان عظيم القُدرة المُطلَقة لِفاطِر السّماوات والأرض من غير مثالٍ سابِق، لِما فيهما من باهِرِ القُدرة، وعِظَم المَلكوت، وعلى تباعُدِهما، إلّا أنَّ السّماوات والأرض خاضعةٌ لسُلطان رَبٍّ واحد.

بلاغةُ المَجاز في لفظ الدُّعاء:

الرِّفقُ بالعِبادِ والتّلطُّف بخِطابِهم عنوانُ الدَّعوة

الدُّعاء في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ محمولٌ على الأمْر والإرشاد مَجازًا؛ لأنَّ الآمرَ يُنادي المأمور[3]، فالمعنى يَدعوكم آمِرًا ومُرشدًا أن تؤمنوا به وحدَه وتعبدوه دون سِواه، ففي الدَّعوة اهتمام الخالِق سبحانه بعبادِه، فهو يدعوهم لِما فيه مَصلحتهم، وفي استعمال هذا اللَّفظ مع إرادة أمْرِ العِباد بالإيمان والعبادة تمامُ اللُّطفِ، وكمال الرّحمة بهم.

نكتةُ إسناد فعل الدّعاء بصيغةِ المضارِع إلى الله تعالى:

بيان الاهتمام ودَيمومة الدّعوة لكلّ قوم

أُسند فعل الدّعاء إلَيْه ﷻ في قوله: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ لمَزيد الحِرص على الهداية وجَلْب المغفرة، ولترْبية المَهابة في نفوسهم، ولتكون النِّسبة إليه سبحانه بيانًا لِوجوده، ورَقابَتِه لهم ولأعمالهم، وإشعارًا لهُم

(1) العلويّ، الطّراز: 1/76.
(2) الأمين الخضريّ، الإعجاز البيانيّ في صيغ الألفاظ، ص: 81.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/199.

بالهَيْمنة عليهم[1]، والمضارِع هنا دالٌّ على دَوام الدّعوة واسْتمرارِها واستحضار صورتها، كأنّها ماثِلةٌ أمام أعْيُن المَدعوّين لتَجذِبهم وتُرقِّقَ قلوبهم.

دلالة تعدّي الفعل باللّام:

التَّعليلُ المُقنعُ وسيلةٌ ناجِعةٌ وهدايةٌ راسخة

عُدِّي فعل الدّعاء في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ باللّام لتعليل ما جُعل سببًا للدّعوة؛ فإنّ العلَّة تدلُّ على المَعلول، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [نوح: 7]، أي: دعوتُهم إلى سَببِ المغفرة لِتَغفرَ، أي: دعوتُهم إلى الإيمان لِتَغفرَ لهم، أي: يَدعوكم إلى التّوحيد ليَغفرَ لكم من ذنوبكم[2]، وفي اللّام تَزيينٌ للدّعوة إلى الإيمان والرّغبة في دخولكم فيه، وهذا يَستدعي اللّام الدّالَّةَ على اختصاصكم بهذا الفضْل مع التّعليل.

سرُّ جمْع لفظ الذُّنوب:

تـصـويـر كـثرةِ الـذُّنـوب مُشيرٌ إلى كبيرِ الرّحمة

جُمع لفْظ الذُّنوب في قوله تعالى: ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ إشارةً إلى أنَّ هؤلاء المَدعوّين، هم كُتَلٌ مُتضخِّمةٌ من الذّنوب[3]، فالجمْع للكَثرة، وكأنَّ كلَّ واحِد ارتَكب ما لا يُحصى من الذّنوب والآثام، على أنَّ أكبر ذَنْبٍ هو الكُفر والإعراضُ، ومن ثمّ فدعوَتُهم للمغفرة إغراءٌ وتَحفيز، وقد يُقال: إنَّ الكُفر عبَّر عنه بالجمْع لِبشاعته وفظاعته في جانب نِعَم الله وآلائه.

تَوجيه المتشابِه اللَّفظيّ في الحذْف والذِّكر:

إثبات (مـن) في سـيـاق خِـطـاب الـكـافـريـن، وحـذْفُـهـا عند خِطاب المؤمنين

تعدَّى فعلُ المغفرة إلى المفعول به وهو (الذّنوب) بنفْسه في القرآن الكريم مرّات عدّة، وهي: [آل عمران: 16 - 31 - 147 - 193]، و[الأحزاب: 71]، و[الصف: 12]، وفي كلّ مرَّةٍ كان الخِطاب فيها للمؤمنين، وما عُدِّي منها بحرْف

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/3999.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/198.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 7/157.

الجرِّ (من) جاء في ثلاثة مَواضع، وهي: [إبراهيم: 10]، و[الأحقاف: 31]، و[نوح: 31]، وفي كلّ مرَّة كان الخِطاب فيها للكافرين، وسرُّ ذلك التّفْرقةُ بين الخِطابين لئلّا يُسَوّى بين الفريقَين في الوعْد، فالكُفّار تُغفر بعضُ ذنوبهم بشَرْط الإيمان، وهو غفران ما بينَه وبينهم لا مَظالم العِباد؛ لأنَّ مقام الكُفر مقامُ قبْضٍ لا بسْطٍ، بخِلاف المؤمن فهو مقام البسْط والفُيوضات والرّحمة والمغفرة[1]، وهذا تفريقٌ مرتبِطٌ مَلحوظٌ في السّياق، ويُضاف عليه أنَّ الذُّنوب للكافرين كذلك تُغفر، وتكون ﴿مِّن﴾ بيانيَّة؛ لأنَّ الإسلام يجُبُّ ما قبلَه.

فائدة عطْف الجُمل على ما قبلها:

أعـظَـمُ عـطـاءٍ استثنائيٍّ عرَفَته البشريَّة عطاء المُـقـبِـلـين على الإيمان

تعدُّدُ العطاءات الرّبّانيَّة وأبواب الرّحمات؛ من مغفرة الذّنوب، والتّأخير إلى أجل مُسمًّى، وعدَمُ المُعاجَلة بالعذاب فالعطْف هنا فيه الكَرَم والإكرامُ، لإمالة القلب إلى الله، والاعتراف بآلائه ونِعَمه، وفي عطْف الوعْد: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بتأخير الأجَل على الوعْد بمغفرة الذّنوب: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ دليلٌ على أنَّ التّأخير يُعدُّ حقيقةً كمَغفرة الذّنوب؛ إذ لو كان العُمر لا يَزيد حقيقةً بفعل الطّاعة لَما عطَفَه على مغفرة الذّنوب؛ لأنَّ المغفرة حقيقيَّةٌ، فكذلك فلْيَكُن التّأخير في الأجَل[2].

نكتةُ إيثار استعمال لفْظ التّأخير دون الإمهال:

يغلِب استعمال الـتّـأخـيـر في الوعْد، والإمهال في الوَعيد

آثَر النَّظْم استعمال لفْظ التّأخير دون غيره من الألفاظ؛ لأنَّه وعْدٌ بخيرٍ، والسّياق سياقُ سَعَةٍ وبسْطٍ ومغفرةٍ، وهذا اللَّفظ هو ما يَتوارَد على ألسِنَة الأنبياء والدُّعاة، أمّا الإمهال فغالِب مجيئه في سياق الوعيد والتّخويف والزّجر، وهذا يُلحظ من لفظة (أمهل، مهّل) في القرآن، فقد وردَت اللّفظة ثلاث مرّات، كلّها في الكافرين؛

(1) محمد الأمين الخضريّ، من أسرار حروف الجرّ، ص: 377 وما بعدها.
(2) المقرن، الأحاديثُ المُشكِلةُ الواردةُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 88.

مثل قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ [الطارق: 17]، وقوله: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١﴾ [المزمل: 11][1]، فكان لفظُ التَّأخير أنسَبَ من لفظ الإمهال.

فائدة استعمال حرْف انتهاء الغاية:

البركة الزّمانيَّة مَدْعاة للطّاعة عند المؤمنين

استُعمل حرفُ الجرِّ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ للدّلالةِ على انتهاء الغاية الزّمانيّة، وفيه دلالةٌ على القُدرة الإلهيّة المُطلَقة، قُدْرة الخلْق والإعادة، والتَّعبيرُ بالحرف ﴿إِلَىٰٓ﴾ فيه تَوسيعٌ للزَّمان وإفساحٌ له؛ لمَنْح الوقت للطّاعة والمغفرة، وبخاصّة أنَّ الله هو الدّاعي، مع دلالة كلمة ﴿أَجَلٖ﴾ على الاستيفاء، أي استيفاء مُدّة الحياة[2] وعدَم المعاجَلة.

فائدة النَّعت ودلالته:

عِلْم الله محيطٌ بالزَّمان والمكان

في نَعْت الأجَل بلفظِ ﴿مُّسَمًّى﴾ دليلٌ على العِلم المُطلَق لله تعالى، دون أن يُشاركَه أحد فيه، فلا يَعلم الأجَل ومقدارَه إلّا الله، يبلِّغكُموه إنْ آمنتم، وإلّا عاجَلَكم بالهلاك قبل ذلك الوقت[3]، وقد يُقال: إنَّ فائدة نعتِ ﴿مُّسَمًّى﴾ الدّلالة على استيفاء الآجال، فلا يَستعجل ﷺ بالعقوبة، فإنَّ الطّاعة وصِلَة الرّحم يُزاد بهما في العُمر[4].

بلاغةُ التَّعبير بالضَّمير بدل الاسم الظّاهر:

اختزالُ الزَّمان في ألفاظ البيان لا يكون إلّا بنَظْم القرآن

يؤتى بالضَّمائر كلِّها لضرْبٍ من الإيجاز؛ لأنَّ الضّمير يُستغنى به عن الاسم بكامله[5]، والتّعبير بالضّمير في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ يوافق التّعبير بالضّمير في ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا﴾، فحصل التّناسُب بين القولَين، كما أنَّ الآية مبنيَّةٌ على الضّمير المخاطِب لهم

(1) قيس دوكس، فهرس جذور كلمات القرآن: (مهل).
(2) الرّاغب، المفردات: (أجل).
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/543.
(4) الإيجيّ، جامع البيان في تفسير القرآن: 4/378.
(5) ابن يعيش، شرح المفصّل: 2/21.

﴿يَدْعُوكُمْ﴾ ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾، والتّعبير بالضّمير يدلُّ على اتّحاد القول واتّفاقِه الصّادِر عن الأقوام، كأنَّها قولةٌ واحدةٌ تلقّاها القوم خلَفًا عن سَلَف، وهذا لا يكون في التّعبير بأن يُقال: (قال قومهم)؛ لأنَّ القائل في الغالب يكون من المَلأ الكبار فيُعبَّر عنه بالقوم لمنزلته وعلوِّ شأنه وكأنَّه كلُّ القوم، كما أنَّ واو الجماعة قد يُراد بها كلّ أُمّةٍ من الأُمم[1]، فجاء بالضّمير الّذي هو أخصَرُ، والواو في ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ تمهيدٌ لقولهم: ﴿تَصُدُّونَا﴾ فربّما كان يُمكن أن يُقال: (تصدّوا قومنا)؛ فيكونوا هم بُرَآء من الكُفر، وهذا ليس بواقِعٍ، فالجميع منكِرٌ شاكٌّ كافرٌ.

بلاغة القصْر:

التّعنُّت رائدُ المكابَرة وقائد المجاهَرة

جاءت جملة: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ قصْرًا بليغًا، فمَردُّ هذه الجملة إفحامُ الرُّسل بقطْع المجادَلة النَّظريّة، فنفَوا اختصاصَ الرُّسل بشَيءٍ زائدٍ في صورتهم البشريّة يُعلَم به أنَّ الله اصطفاهم دون غيرهم بأن جَعَلهم رسلًا عنه، وهؤلاء الأقوام يَحسبون أنَّ هذا أقطَعُ لحُجَّة الرُّسل؛ لأنَّ المماثَلة بينَهم وبين قومهم مَحسوسَةٌ لا تحتاج إلى تطويلٍ في الاحتجاج[2]، وأسلوب القصْر هنا يَحكي تَعنُّتَهم وغباءهم المَكينَ، فبدَلًا من أن يعتزَّ البشَر باختيار الله رسلًا من أقوامهم، فإنّهم لجهالتهم ينكرون هذا الاختيار، ويجعلونه مَثار ريبةٍ في الرُّسل المختارين.

موقعُ الجملةِ في البيان:

الأُممُ السّابقة تَمتدحُ نفسَها من حيث هي مذمومةٌ

جملة: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ في موضع الحال، أو صِفةٌ ثانيةٌ لـ﴿بَشَرٌ﴾ أو مستأنفَة، وهي قيْدٌ لِما دلَّ عليه الحصْر في جملة ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، من جحد كونهم رسلًا

(1) الخازن، لباب التّأويل: 3/30.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/200.

من الله بالدّين الّذي جاءوهم به مخالِفًا لِدينهم القديم[1]، والجملة تحكي طبيعة الجُمود العقليِّ الّذي تَطْبعه الوَثنيّاتُ في عقول أصحابها، فلا يُفكِّرون فيما كان يعبده آباؤهم، وإن كان قصْدُهم المَدْح لحالهم الّتي أصرّوا على عدَمِ تغييرها، فيكونون قد أرادوا أنّها خُلُقُ أسلافهم وأُسوَتهم فلا يَقبَلون فيها عَذلًا ولا ملامًا[2].

نكتةُ التَّعبير بالصَّدِّ دون المَنْع:

صـدُّ الـرُّسـل قـومَـهُـم عـن عـبـادةِ الأوثـان يختصُّ بالحجَّة والبرهان

جاء التَّعبير بمُفرَدة الصّدِّ في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾، والصّدُّ انصرافٌ عن الشّيء وامتناعٌ عنه، وفيه إعراضٌ وصدوفٌ، وفي الصّدِّ هجْرٌ وترْكٌ وسُخريةٌ من الصّادِّ، فالصّدُّ منْعٌ وزيادة، مع دلالة التَّشديد في الفعل (صدَّ)، والتّشديد تَكرارُ عملٍ تلْو عمل، كما أنَّ الصّدَّ هو منْعُ السّالك من إكمال طريقِه فيما يَراه حقًّا، فيدخل فيه الصَّدُّ المَعنويّ والمادّيّ، وصدُّ الرّسلِ الأقوامَ عن عبادة الأوثان هو صدٌّ معنويٌّ؛ لأنَّه بالحُجَّة والبرهان، بخِلاف صدِّ المشركين عن سبيل الله تعالى فهو خليطٌ من الصّدِّ المعنويِّ والمادّيِّ.

نكتةُ استعمالِ المصدَر المؤوَّل دون الصَّريح:

الـكـافـر يَـرى عقائدَه في خطرٍ عند رؤيـة أهلِ الحقِّ

آثَر النَّظْم استعمال المصدر المؤوَّلَ دون الصّريح في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾، وهو يدلُّ على الحدث وزمانِه، فالفعل ﴿تَصُدُّونَا﴾ مع ﴿أَن﴾ بمعنى (صدَّنا)، وهو يدلُّ على حدثِ الصُّدود دون زمانه؛ لوجود الفعل المضارِع الدّالِّ على الحال والاستمرار، فالّذي كرِهَتْه الأقوام من الرُّسل هو ثباتُهم على الدَّعوة إلى دين التَّوحيد والاستمرار على ذلك، الّذي عدّوه صُدودًا عمّا كان يعبد آباؤهم، ثمّ إنَّ من سِمات المصدَر المؤوَّل أنَّه لا يوصَف، فهو يُبْرِز الحدث باعتباره الذّاتيِّ أكثر من أيِّ اعتبارٍ آخَر.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/200.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/172.

دلالة حذفِ المفعول:

دعـوةُ التَّوحيد تَستأصل كلَّ باطلٍ وتأتي على كلِّ وهْمٍ

حُذف مفعول الفعل ﴿يَعْبُدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، فلَم يَقُل: (يعبده آباؤنا)، وذلك للدّلالةِ على العموم[1] والشمول، بحيث يدخل في الدّلالة كلُّ ما يَعبدُه الآباءُ، فهُم يرَون أنَّ دعوةَ الرّسل قاضيةٌ على كلِّ متعلّقات الآباء ممّا له مَسيس صِلَةٍ بمفهوم العبادة الباطلة، وهذا إيذانٌ منهم بالمفاصَلة بين عبادة آبائهم الباطلة، وعبادة فاطِر السَّماوات والأرض.

فائدة ذِكر ﴿كَانَ﴾:

خـلْـعُ الـبـاطـلِ القديمِ أشقُّ في دعوةِ الرُّسل

ضمّن النَّظْم الكريمُ فعل ﴿كَانَ﴾ في قوله: ﴿تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ دون أن يقول: (عما يعبد آباؤنا)، لبيان أنَّ هذا شأنهم ودَيْدنُهم الّذي كانوا وما زالوا عليه، فهم يُشيرون إلى عَراقة عبادةِ آبائهم، وأنَّها عِبادة قديمةٌ وما زالت مستمرّةً، وهذا أشَدُّ في رَفْض الأقوام، وأشَقُّ في دعوةِ الرُّسل.

غرضُ التَّعبير عن الدّينِ بالموصوليَّة:

أهـل الـبـاطـلِ يُعظِّمون الباطل تقليدًا لا تحقيقًا

في التَّعبير عن الدّين بالمَوصوليّة في قوله تعالى: ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ﴾ إشارةٌ إلى تعظيم ما يعبدون وتوقيرِه، فقد يُتَّخَذُ اسم الموصول مع صِلَته ذَريعةً لتعظيم الموصوف به، إذ اتّصافُه بما تضمَّنَته صِلة الموصول من وصْفٍ عظيم، إضافةً إلى أنّ الصِّلة جاءت بالفعل المضارع ﴿يَعْبُدُ﴾؛ لبيانِ أنَّ العبادة لَم تَنْقطع البَتَّة، فإذا عَبَد آباؤنا؛ فإنّا مثلهم عابدون، فالعبادة مستمرَّةٌ حاضرةٌ.

فائدةُ صيغة جمْع الآباء:

الآبـــــاء في الحقيقةِ هم من يُـزيّـنـون بـاطـلَ المعتقدات

آثَر النَّظم صيغةَ الجمْع في قوله: ﴿ءَابَآؤُنَا﴾ الدّالّ على الكَثرة، وتقادُم الزّمن، فالأمر متوارَثٌ قديمٌ، وليس بحادث، وهذا سرُّ تمسُّكِهم بما كان يَفعله آباؤهم؛ فإنَّ سيطرة العادة على المَرْء أشدُّ

(1) ابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التّنزيل: 2/496.

وأقوى من القوانين المفروضة، ويدلُّ هذا اللَّفظ على دخولِ المُعَلِّم والعالِم؛ فإنَّ الآباء يَسلكون مسالك من يُعلِّمونهم الباطل، فذِكر الآباء لبيان الانتساب إلى القبيلة، وإلّا فالآباء على التَّحقيق هم من نَقَل علم مُعَلِّمي الشَّرِّ من خُدّام الأوثان، وفي هذا إلماحةٌ إلى قوَّة أثَر المُعَلِّم في تلميذه.

معنى الفاء ودلالتها:

لَجاجة الخصْم وقـــاحـــةٌ في المُطالَبة

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هي الفصيحة[1]، وهي الّتي تُفصِح عن شرْطٍ مُقدَّر، فكأنهم يقولون: فإن كنتم صادقين في دَعْواكم هذه فأْتوا بسلطانٍ مُبين، والحذْف هنا واشٍ بشِدَّة اللَّجاجة والعِناد، فهم يُطالِبون بسلطان مبينٍ وحُجّة باهرة قاهرة، مع ظُهورِها للعيان.

غرضُ الأمر:

تعجيز الرُّسل ظـنُّ الجـهـلـةِ ومنتهى طموح المكذِّبين

الأمر في قوله: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ مشيرٌ إلى تعجيز الرُّسل في ظنِّ الأقوام، أو التَّعنُّت والاقتراح، وإلّا فما أتَوا به من الدّلائل والآيات كافٍ لمَن استبْصَر، ولكنّهم قَلَّدوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضّلال، وكأنّ ما أتاهم به الرُّسل من حُجَجٍ باهرة تدلُّ على صِدْقهم ليس كافيًا في زَعْم هؤلاء المكذِّبين، بل عليهم أن يأتوهم بحُجَج مَحسوسةٍ أخرى، وهكذا الجحود العقليُّ، والانطماس النّفْسي يحمل أصحابَه على قلب الحقائق، وإيثار طريق الضّلالة على طريق الهداية[2].

نكتةُ إيثار لفظ ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾:

بـيـانُ الـرُّسـل باهِرٌ، وسلطان إقناعِهم قاهر

آثَر النَّظْم استعمال لفْظ السّلطان وهو من الفعل (سلط) بمعنى: التَّمكُّن من القَهْر، والسّلطانُ هنا الحُجَّة، وسمّيَت الحُجّة سُلطانًا،

(1) دوريش، إعراب القرآن وبيانه: 5/164.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/530.

وذلك لِما يلْحقُ من الهجوم على القلوب، وكأنَّ السّلطان هو الّذي سَيُصَيّرُهم إلى أهل قَهْر وخُضوعٍ، ولقد كانوا آتَوهم من الآيات الظّاهرةِ والبيّنات الباهرة ما تَخِرّ له صُمُّ الجبال، ولكنّهم إنما يقولونَ ما يقولونَ من العَظائم مكابَرةً وعِنادًا وإراءَةً لَمن وراءهم أنّ ذلك ليس من جِنس ما يُطلَق عليه السّلطانُ المبين[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الفَطْر والخَلْق:

الفطر إيجادٌ من عَـدَمٍ، والخلق تـقـديـرُ الـشَّيءِ بعد إيجادِه

الفاءُ والطّاءُ والرّاءُ أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على فتْحِ شَيْءٍ وإبْرازِه، من ذلِكَ الفِطْرُ مِنَ الصَّوْم[2]، وأصله: الشّقُّ طولًا، يُقال: فطَرَ فلانٌ كذا فطْرًا، وأفْطَرَ هو فُطورًا، وانْفَطَرَ انْفِطارًا، وفَطَرْتُ الشّاة: حَلَبْتها بإصْبعَين، وقيل للكَمْأة: فُطرٌ، من حيث إنّها تَفْطِرُ الأرض فتَخرج منها[3]، فالفَطْر هو الشَّقُّ والحَفْر بقصْد استخراج شيءٍ، هذا أصله، وقد استُعمِل في فَطْر السّماوات والأرض في إخراجها من العدَم على غير مثالٍ سابق.

وأمّا الخَلْق فهو يدلُّ على تَقْديرِ الشَّيْءِ، ومنه: خَلَقْتُ الأديمَ للسِّقاء، إذا قَدَرْتَهُ، ومن ذلِكَ الخُلُق، وهيَ السَّجيَّةُ؛ لِأنَّ صاحِبَهُ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْه[4]، وأصل الخَلْق: التَّقدير المستقيم، ويُستعمل في إبداع الشّيء من غير أصْلٍ ولا احْتِذاء، قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 1]، أي: أبدَعَهما، ويُستعمل في إيجاد الشّيء من الشّيء نحْو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: 1]، وليس الخَلْقُ الّذي هو الإبداع إلّا لله تعالى، وأمّا الّذي يكون بالاستحالة، فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال، كعيسى حيْث قال: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي﴾ [المائدة: 110][5].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/37.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فطر).
(3) الرّاغب، المفردات: (فطر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلق).
(5) الرّاغب، المفردات: (خلق).

فالخَلْق يَغلِب في التَّقدير، هذا أصله، واستعمالُه في خَلْق السّماوات والأرض باعتبار إيجادهما مُقدَّرَتين، فالفرْق بين فاطِر وخالِق، أنَّ الفَطْر مَلحوظٌ فيه الشَّقّ والإخراج من عَدَمٍ، وأمّا الخَلْق فملحوظٌ فيه التَّقدير.

التّأجيل والإرْجاء والإمْهال:

التّأجيل تأخيرٌ مع ضرْب مُدّة محدَّدةٍ للشّيء

التّأجيل: تأخيرٌ مع ضرْب مُدّة محدَّدةٍ للشّيء، وأصله استيفاءُ الأجَل[1]، والإرجاء تأخيرٌ وقد يكون معه الحَبْس كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾ [الشعراء: 36][2]، أمّا الإملاء فأشَدُّ من الإمهال بكثير، لأنَّه يَتضاعَف به العذاب[3]، ويصاحبه استدراج لزيادة الإثم والخطأ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ [آل عمران: 178]، وفيه يَحسب المُتلبِّس بالإثم أنّه قد نجا فيؤخَذ بالعقوبة[4].

الصّدّ والمنْع والصّرف:

الصّدُّ منْعٌ مقصود، والمنْع أعمُّ، والصَّرف تحوّلٌ عن حالةٍ إلى أخرى

الصّدُّ هو المنْع عن قصْد الشّيء خاصّة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الأنفال: 34] أي: يَمنعون النّاسَ عن قصْده، والمنْع يكون في ذلك وغيره، ألا تَرى أنّه يقال: مَنَع الحائطَ عن المَيل، ولا يُقال: صَدَّه عن المَيل؛ لأنَّ الحائطَ لا قصْد له، ويقولون: صدَّني عن لقائك، يريد عن قصْد لقائك[5]، وقد يُراد بالمنْع أن يُمنَعَ الشّخص وحدَه، وبالصّدِّ المنْع العامُّ له ولغيره[6]، أمّا الصّرْف فمنْعٌ وصَدٌّ، لكنّه يَزيد بأنّه تغيُّرٌ من حالةٍ إلى حالة، ومن أمْرٍ إلى أمرٍ؛ كتصريف الرّياح: هو صَرْفها من حالٍ لِحال[7].

(1) الرّاغب، المفردات: (أجل).
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/332.
(3) السّيوطيّ، معترك الأقران: 3/305.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/284.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 311.
(6) قليوبيّ وعميرة، حاشيتا القليوبيّ وعميرة: 4/294.
(7) الرّاغب، المفردات: (صرف).

السّلطان والحجّة:

السُّلطان حجَّةٌ قـاهـرةٌ بـاهـرة، والـحُـجّـةُ دليلٌ مقنِع

الحُجّة سلطان، وقد سمّيَت بذلك؛ لأنّ صاحب الحُجّة يَقهَر مَن لا حُجّة معه عند النَّظَر؛ كما يَقهر السُّلطان غيرَهُ، فلهذا توصَف الحُجّة بأنّها سلطان، قال الزّجّاج: السّلطان هو الحُجّة، والسّلطان سمّي سلطانًا لأنّه حُجّة اللّه في أرضهِ، والسّلطان لا يُجمَع لأنّ مجراه مجرى المصدَر[1]، أمّا الحُجّة فتُجمع فيُقال: حُجَجٌ، والسّلطان يُذكَّر ويؤنَّث، أمّا الحُجّة فهي على التّأنيث دَومًا، وكلُّ سلطانٍ في القرآن حُجّةٌ[2]، وليسَتْ كلُّ حُجّةٍ سلطانًا، فالسّلطان يُفسَّر بالحُجّة، وليس شَرْطًا أن تُفسَّرَ الحُجّة بالسّلطان.

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (سلط)، وابن منظور، لسان العرب: (سلط).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (سلط).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»